المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

المروي له في السيرة الذاتية:
سيرة "تيسرت" لصالح الهذلول نموذجاً

The Narratee in Autobiography: Tiassarat's Autobiography by Saleh Al-Hathloul as an Example

بقلم الدكتور

أحمد موسى ناصر المسعودي

قسم اللغة العربيّة ـ كلية العلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد (أبها- المملكة العربية السعودية).

العدد الرابع (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المروي له في السيرة الذاتية: سيرة "تيسرت" لصالح الهذلول نموذجاً

أحمد موسى ناصر المسعودي

قسم اللغة العربيّة ـ كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد (أبها- المملكة العربية السعودية).

البريد الإلكتروني: aal-msaode@kku.edu.sa

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء حضور المروي له في خطاب السيرة الذاتية من خلال مدونة "تيسرت" لكاتبها صالح الهذلول. وتتلخص مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية: ما أبرز علامات حضور المروي له في سيرة "تيسرت"، سواء الناطقة منها أم الصامتة؟ وما أنواع المروي له فيها؟ وكيف شُكِّلت صورة المروي له بناء على أصناف حضوره في الخطاب؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة استعين بمقولات علم السرد التي نظَّرت لمكونات تحليل الخطاب السردي، ومنها المروي له. وجاء بناء الدراسة على مبحثين رئيسين، اختص الأول منها بـعلامات المروي له الناطقة والصامتة، والثاني لـمقاربة أنواع المروي له في خطاب المدونة، وتوصلت الدراسة إلى نتائج رُصدت في خاتمتها.

الكلمات المفتاحية: السيرة الذاتية، كتابة الأنا، المروي له، الصوت السردي.

The Narratee in Autobiography: Tiassarat's Autobiography by Saleh Al-Hathloul as an Example

Ahmed Mousa Nasser Al-masoudi
Department of Arabic Language Humanities College- King Khalid University (Abha- K.S.A).
Email: aal-msaode@kku.edu.sa

Abstract

This study aims to explore the Narratee's presence in the discourse of autobiography through the Tiassarat Blog, whose writer is Saleh Al-Hathloul. The problem of the study is summarized in the following questions: What are the main signs of the Narratee's presence in Tiassarat's autobiography, whether they are spoken or silent? What are the Narratee's types in them? How has the the Narratee's image been formed based on its classification of presence in discourse?

To answer these questions, the study relied on a narrative theory, which examines the components of narrative discourse analysis, including the Narratee. The study is divided into two main sections. The first section focuses on the spoken and silent signs of the Narratee. The second section is about the convergence of types of Narratee in blog discourse. The results of the study are discussed in the conclusion.

Keywords: Autobiography, Eego writing, Narratee, Narrative voice.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

يتبوأ السرد مكانة لافتة للنظر في حياة المجتمعات على اختلافها، ربما لتعدد أجناسه وقدرته على الوفاء بمتطلبات الحياة المعاصرة التي تعددت هي الأخرى، وتداخلت مكوناتها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. ومن الأنواع السردية التي شكلت قناة للتعبير في هذا العصر، السيرة الذاتية. وفي مشهدنا المحلي في المملكة العربية السعودية تزايد الاهتمام بها من شرائح اجتماعية كثيرة ومتنوعة. ولعل سبب هذه الكثرة من الإصدارات يعود إلى نضوج تجارب شخصيات كان لها دورها الفاعل في إحداث النقلة الحضارية التي شهدته المملكة في العقود الماضية التي قاربت على إتمام عقدها العاشر. هذه الكفاءات وجدت في السيرة الذاتية أداة ملائمة لسرد معايشتها للتحولات المتسارعة على المستوى الذاتي، وعلى مستوى المجتمع ككل. وقد صاحب هذا النتاج السردي اهتمام مماثل من قبل النقاد، غير أن القارئ يلاحظ قلة الدراسات التي اهتمت بمقولات الخطاب السردي، وخاصة مفهوم الصوت الذي يتضمن عنصري الراوي والمروي له. فأما الراوي فمندرج فيما أُشير إليه من ندرة الاهتمام به، وأما المروي له فلم تُفرد له دراسة مستقلة اعتنت بالسيرة الذاتية السعودية – حسب علم الباحث– فضلًا عن دراسة مدونة هذا البحث. وهذا لا ينفي وجود دراسات سابقة (الغزالي، ٢٠٠٧؛ زعتر، ٢٠١٢؛ الزبون، ٢٠٢٢؛ الحداد، ٢٠٢٢) أفاد منها الباحث؛ لاهتمام أصحابها بالجنس الأدبي نفسه، ولدراستها العنصر المقابل للمروي له في مقولة "الصوت" السردية، وأقصد مفهوم "الراوي".

وهذه المدونة " تيسرت" (الهذلول، ٢٠٢١) اختيرت دون غيرها؛ لأنها سردت أحداثًا متباينة في صورها، ومنتمية إلى فضاءات مختلفة من المحلية فالإقليمية إلى العالمية. وفي الوقت ذاته اتصلت هذه الأحداث بشخصيات شتى مثّلت خلفيات ثقافية ومعرفية شتى. أما على المستوى الزمني، فقد امتدت من الأربعينيات الميلادية من القرن الماضي إلى نهايات العقد الثاني من الألفية الجديدة. وهذا ما جعل المروى له في "تيسرت" ذا أوجه مختلفة باختلاف المكونات التي سلف ذكرها. وهو في الآن نفسه كائن نصي مستخلص من خطاب السيرة الذاتية، في حين أن الراوي فيها يتماهى مع المؤلف والشخصية التي يسرد عنها، وهو الحد الذي وضعه فيليب لوجون في تحديده للسيرة الذاتية (لوجون، ١٩٩٤: ٣٥). وليس ما يقدمه الراوي في السيرة الذاتية مجرد إخبار عن حياته الخاصة ومدى مصداقيته، فسرده يتجاوز حدود فرديته إلى الواقعية الفنية وأسلوب السرد ونمط بنيته السردية (الحداد، ٢٠٢٢: ٢٥٠).

من هنا كان هدف الدراسة الكشف عن العون السردي المقابل للراوي، وهو المروي له في وعلاماته حضوره في الخطاب، وقد صيغت ثلاثة أسئلة رئيسة تمثل في مجموعها مشكلة هذه الدراسة. وهي: ما أبرز علامات حضور المروي له في سيرة "تيسرت"، سواء الناطقة منها أم الصامتة؟ وما أنواع المروي له فيها؟ وكيف شُكِّلت صورة المروي له بناء على أصناف حضوره في خطاب السيرة الذاتية؟ وقد استدعت طبيعة هذه الأسئلة المنهج الإنشائي، وتحديدًا مفهوم المروي له، والمفاهيم المتصلة به من مكونات تحليل الخطاب السردي. وقد فرضت تساؤلات الدراسة بناءها على مبحثين رئيسين هما: علامات المروي له، وفيها مبحثان: العلامات الناطقة، وهي إما مباشرة،

وإما غير مباشرة، ثم العلامات الصامتة وقد تضمنت عددًا من المحاور. وحمل المبحث الثاني عنوان" أنواع المروي له" بُدئت بالمروي له من الجيل غير المعاصر للراوي، فالمروي له من غير بيئة الراوي، ثم المروي له المشترك مع الراوي في المرجعية الدينية، والمروي له المشترك مع الراوي في موروث شعري واحد، وختمت بالمروي له الأكاديمي. وانتهت الدراسة بخاتمة أُجمل فيها أهم نتائجها.

علامات المروي له الناطقة والصامتة

يعد مفهوم " الصوت" من ركائز مقولات الخطاب القصصي، وهو يتضمن ركنين رئيسين، هما الراوي والمروي له. ويعود الفضل في ابتداع المصطلح الثاني إلى جيرار جينيت الذي قصد به " العون السردي الذي يوجّه إليه الراوي مرويّه إن بصفة معلنة أو مضمرة"(القاضي، ٢٠١٠: ٣٨٦). ويؤكد جينيت أن عرضه لمفهوم المروي له كان مقتضبًا، ما جعل جيرالد برنس يسارع إلى استكمال دراسة المفهوم استكمالًا موفقًا (جينيت، ٢٠٠٠: ١٧٢). والمروي له لدى جيرالد برنس: هو من يخاطبه الراوي في سرده(Cuddon, 2013, 456)، وقد يوجد في النص أكثر من مروي له، وشأنه في ذلك شأن الراوي، وتتجلى أهميته في كونه يلعب أدوارًا تتفاوت أهميتها في المواقف والأحداث المروية (برنس، ٢٠٠٣: ١٢٠، ١٢١). فهو لا يلزم في السرد نمطًا ثابتًا (Genette, 1983, 259)، بل هو عرضة للتغيير بحسب خطاب الراوي.

وأما علامات المروي له فيُلاحظ قلة الدراسات السردية التي قاربتها، وربما يعود السبب إلى تنوعها وعسر ضبطها؛ لتواري المروي له في النصوص، بخلاف المكونات السردية الأخرى. ولذلك نجد أن "الدارسين السرديين تهيّبوها أثناء معالجاتهم للمروي له"(عبيد، ٢٠١٠: ٥٩). غير أن توالي الجهود السردية أثمر عن جملة من المقاربات التي أطّرت هذه العلامات، وجلّت كثيرًا من خفائها. ومنها مصطلحا "العلامات المباشرة" و"غير المباشرة" اللذان ذكرهما جيرالد برنس، فقد ميز بين العلامات التي يشير فيها الراوي إلى المروي له مباشرة، مثل "القارئ" أو "عزيزي"، والعلامات غير المباشرة التي تتضمن المروي له، مثل الضمائر ومنها ضمير

الجمع "نحن" (برنس، ١٩٩٣: ٨١). وسار على التقسيم نفسه جون روسي، بيد أنه أضاف عددًا من الصيغ والضمائر والمشيرات اللغوية إلى العلامات المباشرة وغير المباشرة (عبيد، ٢٠١٠: ٦١، ٦٢؛ المهوس، ٢٠١٧: ٢٩).

وفي الدراسات العربية يجد القارئ في "معجم السرديات" (القاضي، ٢٠١٠: ٣٨٦) سيرًا على المنوال نفسه، السالف ذكره، من تصنيف العلامات إلى مباشرة وغير مباشرة. وتظل العناية الكبرى بعلامات المروي له ملحوظة في كتاب "المروي له في الرواية العربية" (عبيد، ٢٠١٠)، فقد قسَّمها إلى علامات ناطقة وأخرى صامتة، مفصّلا القول في العلامات المندرجة في كل منهما. وهو ما ستسير عليه هذه الدراسة في تحليلها لمدونتها، وفقًا لما تفرضه طبيعة خطابها من علامات سيأتي عرضها وتحليلها.

١- العلامات الناطقة

وهي العلامات التي تبدو واضحة للقارئ في المستوى اللغوي، وصريحة في "خطاب الراوي" المتوجه به للمروي له، واعتمادًا على الأدبيّات التي اهتمت بدراسة المروي مثل (برنس، ١٩٩٣؛ عبيد، ٢٠١٠؛ القاضي، ٢٠١٠؛ برنس، ٢٠١٣؛ المهوس، ٢٠١٧). يمكن استخلاص هذه العلامات فيما يأتي، أولًا: ما كان منها **بطريقة مباشرة** مثل استعمال الراوي صيغ الأمر والنهي، وضمائر المخاطب المتصل والمنفصل سواء مع المخاطب المفرد أم المثنى أم الجمع. وأيضًا أدوات النداء، إضافة إلى استعمال مصطلحات تدل على حضور مروي له خاص مثل "عزيزي" و"صديقي" و" الناس" و" المرء" و"الإنسان"، وما يشبهها من كلمات تحدد جنس المروي له أو مهنته أو انتماءه.. وثانيًا: ما يرد في الخطاب **بطريقة غير مباشرة** من نحو استعمال الصيغ التي تتعدى بالتقدير إلى المخَاطب، ومنها: ضمائر المتكلم المفرد

(المنفصلة والمتصلة)، وضمائر المتكلم الدالة على الجمع المنفصل منها "نحن"، أو المتصل "نا" للمثنى والجمع. والضمائر الدالة على الغائب. إضافة إلى صيغ الاستفهام والتعجب والتمني، والمشيرات الزمانية والمكانية. وكذلك صيغ النفي والإثبات، وما يرد في خطاب الراوي من تعليلات وتفسيرات.

أ- العلامات المباشرة

تحمل المدونة "علامات مباشرة" تعددت أشكالها الدالة على حضور المروي له في الخطاب السيرذاتي. فمنها ألفاظ استدعي بها حضور مروي له مخصص بدلالاتها التي تحملها، أو دلالاتها التي يفرضها سياقها. ولعل لفظ "الناس" من أكثرها استعمالًا في خطاب الراوي، كما في "عندما هدم القصر ودفنت البئر [..] تأثر الناس كثيرًا"(الهذلول، ٢٠٢١، ٣٦). هنا الإحالة بـ "الناس "على مروي له مخصص بأنه من أهل بلدة البدائع التي مرت بها تحولات حضارية وعمرانية سريعة، وهذا المروي له يحمل عاطفة خاصة تجاه الآثار القديمة التي تطلبت حركة التطوير هدمها. وأحيانًا قد ترد الكلمة نفسها (الناس) ليكون المروي له المقصود في خطاب الراوي مرويًّا له يشترك مع "الأنا" الراوية في الانتماء إلى ثقافة واحدة، مثل " وهو [يعني إكرام الضيف] من أهم ما يجمع الناس ويقوي أواصرهم" (٣٨)، وقد يُشار باللفظ نفسه إلى مروي له أشمل، يجمع بينه وبين الراوي رابط زمني ومكاني، بغض النظر عن جنسية المروي له أو ثقافته، ففي سرد الأحداث التي وقعت في حرب الخليج الثانية يقول الراوي: " شاع في البلاد خطر الأسلحة الكيماوية فخاف الناس" (٢٨٩)، و" أصاب الناس الرعب والخوف قبل الحرب" (٢٩٣). وأحيانًا يتوجه الخطاب بـ "الناس" إلى مروي لهم لا يجمع بينهم حيز زماني أو مكاني، ولكن تجمع بينهم صفات نفسية عامة، مثل"

فالناس أمام كل ما هو جديد خائفون"(٥٢)، أو" في الحياة يدفع الناس للعمل دوافع ثلاثة" (٢٧٤).

ولا يعدم القارئ كلمات أخرى دلت أيضًا على مروي له مخصوص، ومنها لفظ "الإنسان" في "فأعباء المسؤولية تقيد الإنسان" (٢٣٧)، وفي حديث الراوي عن تقاعده" ينتظر الإنسان شيئًا يتمناه وعندما يحدث يشعر بالألم" (٣١٨). ويُلاحظ أن المروي له في النموذجين مخصوص، فهو منتم إلى بيئة عمل، ويشترك مع الراوي الذي يسرد تجارب حياته العملية. وقد يحيل الراوي بلفظ "المرء" إلى مروي له مُتوقع منه دراية كافية بما كان يعانيه المسافر قديمًا " لا يدري المرء ما تحمل بين ثناياها [رحلة السفر] من متاعب ومصاعب" (٢٦)، أو مروي له عانى من قسوة الغربة ولواعج الشوق إلى مسقط رأسه " حنين المرء إلى الأرض التي ولد فيها لا يعدله حنين" (٣٣)، أو مروي له سبق له أن تفطن إلى قدراته ومواهبه، أو عرف من اكتشفها في نفسه " قد يكتشف المرء في نفسه مواهب كامنة" (٨٦). واستعمال مثل هذه الألفاظ ليس وقفًا على خطاب هذه المدونة، فهي " إحالات مكرورة معتادة، يلجأ إليها الكتاب للدلالة على توجه الذات المنشئة إلى الذات القارئة بغية التواصل" (عبيد، ٢٠١٠: ٧٠). وهي في مجملها علامات صريحة في إشارتها إلى المروي له الذي خُصص حضوره بألفاظ دالة عليه، ومحددة لوجوده في الخطاب.

وقد يُحال على المروي له بعلامات مباشرة، ولكنها ليست أسماء ظاهرة مثل الناس والإنسان والمرء.. التي مرت بنا، بل ضمائر وظفها الراوي متوجهًا بها إلى مروي له، وغلب في استعمالها ضمائر المخاطَب المفرد على المخاطَب بصيغة الجمع. وهي إحالة تحمل غالبًا نبرة الشكوى إلى "مروي له

مجرد"، إما من اليتم الذي عانى منه الراوي، من نحو "حياتي يتيمة، حسبك أنها حياة الأيتام! حياة مجدبة فقيرة (٣٦)، وإما من الحزن على فقد عزيز، مثل قوله:" لقد ترك في نفوسنا غصّة لم تذهب مرارتها مرارات تالية، ناهيك عن الألم الذي أصاب قلب أمي" (٤٣)، وتارة تكون شكوى عامة من تقلبات الحياة "عندما تشعر أن الحياة تبتسم لك وترفعك إلى ذروتها، تأتي اللحظة التي تسقطك" (١٠٦)، ومنها البوح بمشاعر الحزن والألم بسبب الإحالة على التقاعد "وعندما حان وقته[التقاعد]شعرت ببعض الألم [..]في العمل تنسى أو تتناسى كثيرا من الهموم[..] تشعر بأنك ما تزال حيًّا.. تشعر في كثير من الأحيان أنك إنسان" (٣١٨)". ويُكثر عرض الثنائيات المتضادة في خطاب الراوي للمروي له، وهي ثنائيات تمثل حصيلة خبرة حياتية للراوي، فمن وظائف السرد وغاياته في السيرة الذاتية تحقيق مزيد من التواصل مع المروي له، والتعبير عن مواقفه تجاه كثير من الأحداث في حياته (الغزالي، ٢٠٠٧: ١٢٦). ويبدو أن إشراك المروي له فيها من أجل ضمان فاعليته في العملية التواصلية من خلال ثنائيات قد لا تختص بأمرين بعينهما، مثل " أيام من عمرك ترى الحياة فيها جنة خضراء[..] وأيام أخرى ترى الحياة فيها صحراء جرداء" (١٠٤)، غير أن الغالب أن هذه الثنائيات تتعلق بتصنيف للناس مدحًا وقدحًا " تجد في حياتك الصديق الودود الذي يهديك إلى أحسن الدروب، وقد تجد فيها [..] ظاهر النفاق الذي يطعنك بسكين لحظة العناق" (١٠٤)، وأيضًا "شخصيات نقابلها منها من يغفر لك ويعينك[..] ومنها من يضمر لك الحقد" (١١٠)، وكذلك " في حياة كل منا أشخاص[..] منهم من هم عون لك[..] ومنهم من هو نفسه حجرة عثرة في طريق نجاحك" (٢٢٨). وهو تصنيف يحمل معنى الإخبار، ولا يخلو من شكوى غير مباشرة للمروي له من نماذج

خذلت الراوي في حياته على المستويين الاجتماعي والعملي. وقد ترد ضمائر المخاطَب الدالة على المروي له المفرد في سياق الخطاب المحمّل ببعض القناعات والتصورات التي يؤمن بها الراوي من قبيل" الحياة المتعبة مدرسة مثلى، بل جامعة عريقة تعلمك ما لا تتعلمه في أرقى جامعات العالم" (٣٧)، أو "ما تخافه يأتي إليك" (٢١٥)، أو " لا يمكنك إحياء ضمير ميت" (٢٧٥).

وقد يستحيل حضور المروي له إلى مروي لهم بضمائر المخاطب للجمع، وتأتي هذه العلامات المباشرة في مفتتح خطاب الراوي حينما يسرد قصة طريفة، أو ذكريات جميلة مثل" هذا الذي سأرويه لكم" (١١١)، و " وهناك موقف طريف[..]أذكره وأتذكره معكم" (١٢٢)، و " ومن المواقف التي أذكرها لكم" (٢٣٥)، و " والآن أروي لكم من ذكرياتي أجملها" (٢٥٣)، وأيضًا" سأروي لكم" (٣٠١) ". وهي ضمائر مخاطَب للجمع متصلة بالفعل المضارع. وتتضمن وعدًا وتشويقًا للمروي لهم حيال السرد الذي يلي هذا الافتتاح. وتارة تقترن الضمائر بالفعل المضارع المنفي في نهاية السرد كقوله: " لا أخفيكم أنني كثيرا ما تعللت بالأعذار" (١١٠)، و" ولا أخفيكم سرًّا أنني [..] شعرت ببعض الألم" (٣١٩). وهذا الأسلوب ينطوي على اعتراف من الراوي للمروي لهم خالقًا به نوعًا من الألفة معهم، ومن نافلة القول الإشارة إلى كونهم قراء مجردين ومحتملين دلت على وجودهم المفترض ضمائر المخاطَب.

ومن الملاحظ أن خطاب الراوي تضمن هذه العلامات المباشرة (الأسماء الظاهرة وضمائر المخاطَب)، لكنه خلا من بعض العلامات المباشرة الشائعة في النصوص السردية بوجه عام، ونعني على سبيل المثال" صيغ

الأمر والنهي والنداء". بيد أن علامات أخرى غير مباشرة تخللت سرد الراوي، وأوحت بحضور المروي له الخطاب السيري.

ب-العلامات غير المباشرة

لئن اقتصر خطاب الراوي على مظهرين للعلامات المباشرة فإنه في غير المباشرة قد أغنى سرده السيرذاتي بعلامات كثيرة لوّحت لنا بحضور مروي له ومروي لهم. وهذا الحضور ذو أوجه مختلفة، فتارة تأخذ بأيدينا إلى المروي له ضمائر المتكلم للجمع (المنفصلة منها والمتصلة)، وهي ضمائر " متعدية بالتقدير إلى المخاطَب[..] فالمتكلم يستهدف بها إشراك السامع في كلامه حتى يستوعبه في ملفوظه"(عبيد، ٢٠١٠: ٨٧). فقد يشرك الراوي مرويًّا له مجردًا لا يحمل الخطاب ما يحدده، مثل" في حياة كل منا شخصيات نقابلها"(١١٠)، و" فالله يختار لنا الخير دائمًا، ولكن لأننا لا نعلم الغيب نحزن"(٢٢٣)، وأيضًا" لا نعرف ما يخفيه الزمن لنا"(٢٥٣)، و"تخطف منا أحبتنا، وتخطف سنوات أعمارنا.. وهكذا هي الحياة"(٣١٠)، وكذلك" وهكذا نحن كلنا، ويكاد الخلق يتشابهون"(٣١٥)، و" الأشياء والأحداث والمشاعر هي نحن"(٣٤٢). تظهر هذه النماذج أن ما يجمع الراوي بالمروي له مشتركات عامة، يمكن وصفها بأنها ذات طابع إنساني لا يختص بها شعب دون آخر، أو ثقافة دون أخرى إلا أن الخطاب لا يمضي بالوتيرة نفسها، فقد يتوجه الراوي بخطابه إلى مروي لهم تجمعهم به ثقافة دينية واحدة، وهي الثقافة الإسلامية، ويتجلى ذلك في قوله" الصفات التي أخبر بها رسولنا الكريم[ﷺ] من دين وخلق"(١٢٤)، و"ديننا"(١٨٠)، و" طريقة تعاملنا نحن المسلمين"(٢١٧)، و"ولولا أن ديننا يوصينا.."(٢٢٤)، أيضًا" في موروثنا ما خاب من استخار"(٢٥٦).

وقد يقتصر الخطاب على مروي لهم تجمعهم بالراوي رابطة العروبة على وجه التحديد، ومن ذلك على سبيل المثال" معظم ما يرويه عن عالمنا العربي آلام وآهات"(٥٢)، ومثله" معظم دولنا تقبع تحت نير الاستعمار آنذاك"(٥٢)، وأيضًا" عواطفنا نحن العرب متطرفة لا توسط فيها"(٢٨٩). وفي مواضع أخرى، تضيق دائرة التخصيص للمروي لهم، فتكون مقصورة على مروي لهم من وطن الراوي نفسه، إما استدعاء لاشتراكهم (الراوي والمروي له) في حب الوطن والاعتزاز به، كقوله:" خلال رحلتي بمملكتنا الغالية بقيت عائلتي في كيمبردج"(٢١٦)، أو" وطننا الغالي"(٣٠٥)، وإما استدعاء لتوافقهم في تقاسم العادات والتقاليد نفسها، من نحو وصفه لبعض جوانب الحياة في أمريكا" لم تناسب ثقافتنا وتقاليدنا"(١٨٢)، أو " من تقاليدنا الراسخة أخذ الفنجان باليد اليمنى"(٢٨٣)، أو " في مجتمعنا نتعامل بالتساوي مع من يساعدوننا"(٢٨٣)، أو " من عادتنا في السفر حمل كل شيء" (٢١٦).

وتشير "ضمائر المتكلم للجمع" في مواضع أخرى إلى مروي لهم يجمع بينهم والراوي مجايلة زمنية بكل حمولاتها الاقتصادية والاجتماعية.. من قبيل" الحياة التي عشناها، [..] جميلة أيما جمال، جمال لا نجده اليوم"(٣٦)، " كنا نستخدم الطين"(٣٨)، " لم تكن هناك صحف لنقرأها[..] ولا حواسيب ولا أي وسيلة تواصل كالتي نسمع عنها ونراها اليوم"(٥٢)، " كنا نتحلق حول الراديو"(٥٢)، " كنا نجتمع ليلة العيد [ليلة السواق]"، " لم نكن نعرف السيارات "(٥٩)، " دقائق مرت مثل أيام صبرنا التي عشناها"(٧٣). ومن نافلة القول الإشارة إلى ارتباط الضمائر (الدالة على المروي له) بصيغة الماضي؛ كونها تمثل ارتدادًا بالسرد إلى مدة زمنية سابقة ومبكرة من بدايات نهضة المملكة، ولتلك المرحلة جيل عاصرها، ثم عاصر مرحلة الازدهار اللاحقة، وهذا

الجيل المخضرم حاضر في خطاب الراوي؛ لذلك نجده يستعمل مشيرات زمنية تدل على مرحلتين مختلفتين، مثل "لا نجده اليوم"، " كالتي نسمع عنها ونراها اليوم".

وأحياناً يستعمل الراوي ضمير المتكلم المفرد، وهو ضمير يحيل -كما يقول إميل بنفنيست – على "ضمير المخاطب(أنت) الذي يكتسب مرجعيته وكينونته بصفته الشخص الذي يوجه إليه الضمير الأول (الأنا) القول"(البادي، ٢٠١٨: ٧٩). فالمروي له في هذا الخطاب مُستدعى وإن بصورة غير صريحة. وفي وصف انكسارات النفس المعبَّر عنها بضمير المتكلم "الأنا" دعوة للضمير المقابل "أنت" كي يشعر بالشعور نفسه، ويتأكد الأمر حينما يكون المروي له قد عانى من الانكسار نفسه، لنقرأ على سبيل المثال" ووقفت أنا وقفة اليتيم كسير القلب مبلل الجبين. نظرت خالتي إليّ من الباب وقالت: اركب مع الرفاق"(٥٩). وأيضًا "ذهبت إلى غربة لا ترحم، صراع مستمر مع الحياة"(٣٠٧)، وفي وصف لحظات الانتظار المشوبة بالقلق يتلقى المروي له هذا الخطاب الذي لا تخلو منه حياة أحد منا" ثلاثة أيام من عمري تعدل ثلاثة أعوام، ثلاثة أيام عجاف أكلت ما عشته من أيام.."(١١٣)، وتتجلى الأنا التي تروي وتعتزم سرد حكايتها على المروي له في الحديث عن رحلة البحث المضنية عن قبول في مرحلة الدكتوراه" ها أنا ذا.. بقيت شبه ضائع، تقض الحيرة مضجعي، أكابد عناء البحث.."(١٩١). أو سرد معاناة الدراسة نفسها" أسهرت ليلي وأتعبت نهاري وانشغلت عن أهلي"(٢٢١). إن نهوض الخطاب على ضمير المتكلم "يخلق تلقائيًّا مرويًّا له[..] ذلك أن الخطاب دوما ينحت مُخاطبه"(عبيد، ٢٠١٠: ١٢٦، ١٢٧). وهو خلْق ودعوة من الراوي إلى المروي له كي يتماهى مع خطابه الذي يسرد حكاية أو حكايات تشكل أبعادًا

مختلفة اجتماعية وعملية وعلمية، وهي في مجموعها تعبر عن مكابدة صاحبها في سبيل الوصول إلى أهدافه وتحقيق طموحاته. ولم يقتصر السرد على ضمائر المتكلم (للمفرد والجمع) في التوجه إلى المروي له، بل استعمل أيضًا ضمير الغائب الذي يحيل على مخاطَب يدعوه إلى الانخراط مع الراوي في ملفوظه، ومن ذلك" لم أعد أسمع منها[والدته] إلا نشيجًا تتصدّع من أجله القلوب، ويصيب من يسمعه بالعدوى"(٧٧)، و" لكل جعل مراده العلا، وطموحه الشمس"(١٩١)، و" كل لك جال في ذهني وأقلقني، لكن من له أخ كعبد الله فلا قلق عليه"(٢٢٦)، و" ومن عرفه عرف أنه من أكثر الناس تواضعًا وصفاء"(٢٥٤)، و"تلك سيرتي أرويها لكل من حلم وكل من عشق حلمه"(٣٤٢). ولا يخفى على القارئ حضور المروي له في النماذج السابقة التي أُحيل فيها عليه بضمير الغائب، إضافة إلى تأكيد هذه الإحالة بـ "من" الاسم الموصول الدال على المروي له.

وتنبئنا عن وجود المروي له علامات أخرى غير الضمائر، علامات دالة عليه بصورة ضمنية، مثل صيغ الاستفهام، فعن يوم مولده يتساءل الراوي "لا أعرف شعوري لحظتها، هل لي شعور أصلًا؟ تمنيت لو كان لي وقتها ذاكرة"(٢٦)، وهو استفهام يستبق فيه الراوي المروي له القائل باستحالة إدراك تلك اللحظة. وحين يفقد الراوي آخر ما يربطه بوالده، يشرك المروي له في حيرته وعدم معرفته بما حدث لما فقَدَه من أشياء ارتبطت بذكريات غالية عليه، فيسأل بتحسر "هل أخذ أحد تلكما (الإبريق والدلة) أم رُميا[..] المؤكد أنني بفقدهما فقدت.."(٣٢)، وقد يحضر المروي له كي يكون حَكمًا – ولو ضمنيًّا– في موقف حدث للراوي، وأثار تعجبه على الرغم من وضوح الحق فيه "هل كنت فجًّا في أسلوبي أم كان هذا حقي في الرد؟!"(٢٣٩). وقد

تأتي صيغ الاستفهام من أجل تشويق المروي له و"إدماجه" في الخطاب، مثل "لكن ما القصة؟ وما هذا المكان"(٦٩)، و"كيف انتقلت إلى الرياض، ومع من وأين سكنت [..] وما شعوري عندما وطئت قدماي الرياض؟"(١٠٤)، ولذا نجد بعد هذه الأسئلة المتتالية سردًا يفي بتفصيل إجاباتها. ومن الأسئلة ما يضمّن الراوي فيها المروي له من أجل استبعاد أمر ما، مثل "هل لأم أن تفرط بسهولة بفلذة كبدها ساعة الفراق" (٧٧)، وقد يستحيل الاستفهام الموجه للمروي له إلى سؤال تقريري من نحو" من البدائع إلى أمريكا.. أليست تلك قيامة من نوع ما للعقل واختبار للروح التي تهفو إلى روحها الآن؟"(١٧٥). وبوجه عام تشير صيغ الاستفهام السابقة إلى وجود مروي له مخصوص بها لإدراجه في البناء السردي بصورة غير مباشرة. فلم تكن أسئلة يوجهها الراوي لنفسه فحسب لولا افتراض وجود مروي له في خطابه.

وشبيه بصيغ الاستفهام، مؤشرات أخرى تنهض بالدلالة ذاتها على وجود المروي له. ونقصد تحديدًا "صيغ التعجب" التي "تحيل على المروي له، وتستدعيه أيضًا ليقف موقف التعجب والاستغراب"(عبيد، ٢٠١٠: ٩١). وهو أسلوب إنشائي كثر استعماله في خطاب الراوي، فشكّل قناة للتواصل مع المروي له كي يلتفت إلى مدى وقع العقبات والصعوبات التي مرَّ بها الراوي، ولا سيما في مرحلة طفولته، ومنها قوله: "يا لهذه الطفولة التي لا تعرف مقاما!"(٢٧)، و "حياتي يتيمة، حسبك أنها حياة الأيتام!" (٣٦)، وأيضًا حينما شكى من تحمله أعباء العمل الشاق في طفولته" كم هو الفارق بين من يتخذه[الطين] لعبًا وبين من يتخذه عملا وتعبًا"(٣٧)، وأحيانًا يدعو الراوي المروي له لمشاركته في الشعور بأثر التغييرات المتلاحقة عليه في طفولته، ومن ذلك قوله: "وكم في حياتي من منعطفات!" (٤٣) في حديثه عن رحيله

من بيتهم القديم إلى آخر جديد عليه بعد اقتران والدته بعمه. وفي معرض السرد المتعلق بمراحل أخرى غير مرحلة الطفولة؛ مرحلة الشباب وما بعدها، تكثر أساليب التعجب وترد بوصفها أداة فاعلة في الخطاب السردي، ويأتي التعجب في سياقات مختلفة، لكنها تتفق في استدعائها المروي له، واستمالته للدخول في العملية الاتصالية مع الراوي. ففي سياق المرض نقرأ "زارتني[الحمّى] ويا لها من ضيفة ثقيلة على النفس"(٥٣)، وفي سياق الفقد والحزن على الراحلين" آه كم هي خطافة هذه السنون! تخطف منا أحبتنا، وتخطف سنوات عمرنا"(٣١٠). ونقرأ أيضًا في سياق البوح والشكوى من تقلبات الأيام" كم تعبنا!"(٢٤٦)، وفي سياق التعجب من سرعة مرور العمر دون أن نشعر به يقول الراوي: "آه كم مرت سريعًا تلكم السنون!"(٨٩). وأحيانًا قد يخرج التعجب عن التمحور حول ذات الراوي، فيكون التعجب متعلقًا بغيره، وعلى وجه التحديد بوالدته، مثل تركت[والدته] أبي هنالك في مثواه الأخير.. ويا له من ألم كان يرافقها" (١٨)، و " كم تحمل[والدته] من آلام وشجن! وكم تتحمل[..] من أسقام وحزن!"(٧٧). وهو تعجب يدعو المروي له بطريقة غير مباشرة للانضمام إلى الراوي في تصور ما تشعر به أمه من ألم ومعاناة.

ومن الأمارات غير المباشرة الدالة على المروي له في الخطاب، استعمال صيغ النفي التي تصرف عنه ما قد يتبادر إلى ذهنه من تأويلات محتملة في تفسير بعض المواقف، أو الأفكار التي يتلقاها في الخطاب السردي، وهذا الاستعمال يرد بكثرة في المدونة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر حديث الراوي عن والده" لم يكن من ذوي الجاه أو السلطان، لكنه كان راضيًا لا شاكيًا ولا متبرمًا"(١٦)، جاء هذا النفي حتى يزيل ما قد يخطر في

نفس المروي له من صور محتملة من قبيل أن والد الراوي كان ميسور الحال، ومن ثم كانت حياة أسرته سهلة من بعده.. وفي موضع آخر ينص الراوي على نفي هذه الصورة المحتملة، فيقول:" رحل والدي ولم يترك لنا أي شيء نقتات به"(٣١). وتارة يأتي النفي مقصورًا على الراوي نفسه" لم أنشأ – آنذاك– مرفهًا ولم أعش حياة المنعمين"(٣٥)، لدفع ما قد يتوهمه المروي له من أن الراوي كان ينتمي إلى أسرة غنية؛ لأنه وصف حياته الأولى بأنها أجمل من حياته الراهنة. ومن يقرأ المدونة يجد أن الراوي كثيرًا ما يتوخى وجود المروي له في خطابه، ولاسيما حينما يكون الحديث عن مظاهر الحياة ومصاعبها في الماضي، فيكثر نفي وجود أشياء في الماضي هي في حياتنا المعاصرة سهلة المنال، وهي في الآن نفسه مثار تساؤل لدى المروي له من حيث افتقار بيئة الراوي إليها. ولذلك تواتر النفي في خطاب الراوي من قبيل" فلم نكن نعرف السيارات ولم نركبها قط"(٥٩)، و" ولم يكن له علاج آنذاك"(٢٧)، و" لم يكن اقتناء واستعمال الراديو شائعًا في ذلك الوقت"(٢٤)، و "إذ لم تكن هناك مقاعد للدراسة يومها"(٧٣)، والنماذج كثيرة في هذا الباب (٣٥، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٥٤، ٧٤، ٨٠، ١٠٣).

ويظهر المروي له أيضًا في خطاب الراوي من خلال التفسيرات والتعليلات التي يسوقها مرارًا وتكرارًا وبصورة لافتة لمن يقرأ خطابه السردي، ففيه ما يربو على (٩٠) تفسيرًا وتعليلًا بدءًا من ص (١٥) وانتهاء بـ (٣١٧)، ومعظمها تفسيرات وشرح لألفاظ يتوقع الراوي خفاء معانيها عن المروي له، إما لإغراقها في المحلية، أو لكونها عامية، أو لأنها لم تعد مستعملة كما كانت لدى الأجيال السابقة. ومنها–مثلًا– توضيح المقصود بـ " طريق الجسور"(١٥)، و" حبوب المعية والحنطة"(١٩)، و" القايلة، العسيب،

انسلحت "(٢١)، و" نوخوا، النفوذ، الحيابيل"(٢٢)، و" النخيشة، تـواجرني، السباحين"(٢٤)، و" مرض الضلوع"(٢٧)، و" بناخينا"(٢٨)، و" تسبيل الماء، الحابوط"(٣٤)، و"قلة التمـر"(٤٢)، و" قبـة، الصـفة"(٤٣)، و"المسـطعة، السرحة"(٧٤)، و" أهضلها"(٧٦)، "المقلط"(١٤٦). وهذه التفسيرات بعضـها ضُمّن في متن الخطاب وبعضها في الهامش، ويُعد " التفسير واللجـوء إلـى الهوامش شكلًا من أشكال الاهتمام بالمروي له بهدف الحفاظ علـى سـيرورة التواصل وتسهيل فهم مقصدية الكاتب[الراوي] أو شرح مفردة عامية"(صغير، ٢٠١٥: ١٩٠) يصعب فهم معناها. ومن الملاحظ أن الألفاظ التي تحتاج إلى تفسير جاء ورودها(من حيث الكثرة) تنازليًّا في خطاب الراوي، فجاء القسـم الأكبر منها في الجزء الأول "البدائع"، ثم الجزء الثاني "الرياض"، في حـين خلت -تقريبًا- الأجزاء الثلاثة الأخيرة (أمريكا، من كيبمردج إلى الرياض، التقاعد وما بعده) من كلمات غريبة، أو مُتوقع من المروي له عدم فهمه لها. وربما يعود السبب في ذاك إلى كون الجزأين الأولين يسرد فيهمـا الـراوي بدايات حياته المرتبطة بمرحلة زمنية قديمـة، ومختلفـة اجتماعيًّـا وثقافيًّـا واقتصاديًّا عن المراحل الثلاث الأخيرة التي لا تحتاج منه شرحًا للمفـردات الواردة فيها؛ لاشتراك المروي له معه في استعمالها.

ومن التعليلات التي اختص بها الراوي المروي له تعليلـه لـخروج والدته من بيتها وعودتها إليه في وقت لا يصل مداه من قبيـل الفجـر إلـى شروق الشمس في فترة حدادها (١٧)، وتفسير انتقال والديه من مكـان إلـى آخر (٥٢)، وتعليل خوفـه مـن معرفـة النـاس بأنـه ورفاقـه يلعبـون الورق(البلوت)، والحديث بطبيعة الحال عن فترة زمنية مضت (٥٥)، وتعليل خوفه الشديد في المدرسة قديمًا(٧٥)، وأيضًا سبب التحاقه بمعهد المعلمين بعد

إتمامه المرحلة الابتدائية، عوضًا عن التحاقه بالمرحلة المتوسطة(٨٥). وكذلك توضيح سبب شرائهم كميات قليلة جدًّا من الخضار والفواكه وأحيانًا اللحم (١١٠). إن هذه التفسيرات والتعليلات تنم في مجموعها عن حرص واضح من قبل الراوي على إعلام المروي له بمقاصد الخطاب المروي، وتجلية ما قد يبدو غامضًا في ثناياه. وما سبق في خطاب الراوي كانت إشارات ناطقة مباشرة وغير مباشرة، بيد أنه ينطوي أيضًا على علامات أخرى مضمرة صامتة، فما هي؟ وكيف كشفت عن حضور المروي له في خطاب "تيسرت"؟

٢-العلامات الصامتة

وهي علامات غير ملفوظة في الخطاب، ولكنها كامنة فيه. وينص " فان دان هيفل على تجلياتها في الفراغات النصية. وقد أطلق على تلك البؤر الفارغة مصطلح الصمت"(عبيد، ٢٠٠٣: ٦٤). ومن هذه العلامات الصامتة: " الوسائل الإشارية"، ويُقصد بها "الرموز المرسومة على مساحة الورق التي تشي بوجود حذف ما في بنية الخطاب، لغرض جذب انتباه المروي له"(صغير، ٢٠١٥: ١٩١) كي يكمل ما سكت عنه السرد، ويخمن ما عساه كان مقصودًا من قبل الراوي. ومنها أيضًا "الثغرات الزمنية" التي تشدّ المروي له إلى الانخراط في ملء فراغات الخطاب المسرود. وخطاب السيرة الذاتية –بوجه عام– يرتكز على عملية التذكر التي تقرّب بين الأزمنة الكامنة في الذاكرة (زعتر، ٢٠١٢: ١٦٣). ويؤْذن هذا التقريب بتخطي مدد زمنية، على سبيل المثال في السرد المخصص للجدة "نورة" في "تيسرت" صمتٌ عن المدة الزمنية التي قضتها في "عنيزة" بسبب انتقال ابنها للتدريس فيها، حيث اكتفى الراوي بعبارة" وقد مكثوا هناك عدة سنوات إلى أن انتقل ابنها[..] فعادوا للإقامة بالبدائع"(٢٥). كان السرد يرصد لنا التفاصيل الدقيقة في حياة

الجدة "نورة" في البدائع قبل انتقالها إلى عنيزة وما كانت تحظى به من مكانة وما كانت تقوم به من أدوار جعلت الراوي يصفها بـــ "دور العمـــدة"(٢٤). ولكن السرد طوى المدة الزمنية في عنيزة، وأغفل ما كان متوقعًا من شخصية مثل شخصية "نورة"، تاركًا تصوّر الأدوار التي يمكن أن تقوم بها في مكـــان إقامتها الجديد لخيال المروي له، استنادًا إلى السرد المتقدم عنها حينما كانـــت في البدائع. ومثل هذه الثغرات الزمنية شائع في خطاب الراوي، ومـــن ذلـــك "مكثنا في [مزرعة مشرفة] سنة وأربعة أشهر" بعد وفاة أخته (٢٧)، و"دمـــت على هذا الحال عدة سنوات"(٤٠)، وأيضًا إغفال المدة الزمنيـــة بـــين كـــون الراوي طالبًا في المعهد العلمي في البدائع، ثم معلمًا في المدرسة الســـعودية (٥٦، ٥٧)، وكذلك وجود فجوة زمنية بين زواج الراوي وكونه أبًا لابنتـــين (١٤١).

ويجد القارئ من هذا القبيل علامات أخرى تتصل بالإسناد، مثل قـــول الراوي: " يُحكى أن أبي لم يعرف من الحياة.. "(١٦)، ففي هذا الإسناد صمتٌ عمّن حكى، وصمتٌ عمّن تلقّى الحكي في هذا النموذج، وما يماثله من نماذج أخرى في سرد الراوي، مثل قوله: "ومما يُحكى عنها[نورة]"(٢٣)، و " ممـــا يُروى أن مجموعة من الدعاة"(٥١)، و" الحمد لله أنني ظهرت على حقيقتي لا كما رُوي له وما نُقل إليه عني"(٣١٧)، فالراوي يترك للمروي له تخمين من نقل سوءًا عنه.

ولا تخلو المدونة من فراغات في السرد دالة على وجود المـــروي لـــه تستدعيه وتستنطقه حينما يضمر الخطاب أحداثًا، أو كيفيات يُحـــدِث غيابُهـــا تساؤلاتٍ متوقعة من المروي له. فمثلًا لم يعلل الراوي لصدور أمر بإلغاء قسم البنات في الكلية الجديدة آنذاك "التخطيط والتصميمات العمرانية" على الـــرغم

من إعلان أسماء المقبولات والتعاقد مع عضواتٍ للتدريس فيها (٢٤٩)، وفي حديثه عن زواج" نورة" الأول يطرح هذه العبارة" لم يدخل بها ولم تجلس معه منذ أن وطئت رجلها أرض المزرعة حتى غادرتها"(٢١) دون تعليل أو تعليق، وهذا الفراغ استدعاء مبطن ودال على وجود مروي له متكفل بسد الفجوات بعد أن تخلى السرد عن ملئها. وأحيانًا قد يتوقع المروي له من الراوي رصدًا يفصّل فيه مشاعر شخصية ما لكنه يعدل إلى الإضمار، مثلما نجد في إغفال وصف مشاعر أمه حينما فارقها ولدها (الراوي) من البدائع إلى الرياض من أجل الدراسة (٧١)، ولاسيما أن السرد كان مركزًا على قوة الارتباط بينهما، وكثرة انتقالهما معًا من بيت إلى آخر. ومثل هذا الإضمار أيضًا: السكوت عن الإشارة إلى أخيه عبد الله حينما توفيت أختهما نورة (٥٤). ولم يتضمن السرد أيضًا رصدًا لمشاعر أمه وزوجته حينما سافر لأول مرة إلى أمريكا للدراسة (١٧٦). وقد يسقط الراوي من سرده ما يستفز المروي له كي يبحث ويخمّن، فحينما تحدث الراوي عن أنواع الشخصيات الثلاث التي قابلها في حياته، سرد مواقف له عن الأولى والثالثة وأغفل الثانية" من يضمر لك الحقد ويتمنى لك الخطأ"(١١٠)، منيبًا المروي له في استحضارها من عموم السرد. وفي موضع آخر (١١٩) تُركت نهاية قصة الراوي مع رجل الأمن والمصور نهاية مفتوحة ليكون المروي له مدعوًا لإكمالها.

ومن العلامات الصامتة "البياضات الطباعية" كالنقاط المتتابعة التي ترد في نهايات الجمل. وهي دوال غير ناطقة تنبه المروي له إلى أن المسرود لم ينته، وأن هناك مضمرًا لم يُكتب، ونصوصًا لم تُذكر، وعلى المروي له استنطاقها استدلالًا بما سُرد. وهذه العلامة الصامتة (النقاط المتتابعة) التي تدل

على الحذف عديدة في خطاب الراوي، فقد استُعملت في أكثر من (٤٠) موضعًا من "تيسّرت". مثل قوله عن والدته: " مشاعر الحزن التي لم تبارحها طوال رحلة السير تلك.."(١٥)، وعن والده" لم يخضع لليأس.. يعمل ليل نهار"(١٦)، وأحيانًا تأتي النقاط المتتابعة مشيرة إلى مشاعر حزن عميقة، صمت الراوي عن وصفها " لا أنسى ذلك الألم الذي غمر قلوبنا.."(٤٣)، و" ذرف القلب قبلها دمًا متدفقًا لا يُرى.."(٧٧). وليس الأمر مقتصرًا على مشاعر الحزن فحسب، كما في هذا المقتطف" إنها الشهادة الابتدائية، ها أنا أحوزها بين يدي فرحًا مبتهجًا.."(٨٥). هذه النقاط المتتابعة أتاحت للمروي له تخيل ما سكت الراوي عن الإطناب فيه، وسمحت هذه النقاط للمروي له أيضًا بتوليد معان ودلالات جديدة، بل يمكن أن يكون بعضها على تماس مع تجاربه الشخصية التي قدد تتشابه مع ما سرده الراوي. ويمكن القول إن العلامات الصامتة في المدونة أخبرت عن المروي له في خطابها إن بقصد من الراوي، أو بدون قصد. وقد تظافرت مع العلامات الناطقة في رسم ملامح محددة لعدد من المروي لهم المحتملين في الخطاب السردي عمومًا.

أنواع المروي له في خطاب المدونة

صنف جيرار جينيت المروي له بحسب علاقته بالحكاية إلى مروي له من داخل القصة، وآخر من خارجها (جينيت، ٢٠١٠: ١٧٢). ونظر جيرالد برنس إلى المروي له بحسب نمط السرد الموجّه له (برنس، ١٩٩٣: ٨٢). وحاول بعض الدارسين مثل جوف التمييز بين ثلاثة أنواع للمروي له، أولها "المروي له- الشخصية"، وثانيهما" المروي له المستدعى"، وثالثها" المروي له الممحوّ"، أي الحاضر ضمنيًّا في السرد (القاضي، ٢٠١٠: ٣٨٧)، كما درس جان روسيت المروي له تحت "صنفين كبيرين خلع على الصنف الأول اسم

المروي له في الملفوظ، وعلى الصنف الثاني المروي له القصصي" (عبيد، ٢٠١٠: ١٧٠). ويلاحظ المتأمل في هذه التصنيفات اتفاقها على وجود مروي له داخل الحكاية ومروي له خارج الحكاية، وقد شاع في الدراسات العربية (صديق، ٢٠١٣: ٢٠؛ حسن، ٢٠١٤: ١٧٨؛ الحربي، ٢٠١٥: ١١٦؛ صغير، ٢٠١٥: ١٨١) استعمال مصطلح "المروي له الممسرح" ويُقصد به النوع الأول، و"المروي له غير الممسرح" للنوع الثاني. وفي هذا الاشتغال سيكون المروي له من خارج الحكاية (غير الممسرح) هو مدار اهتمامنا؛ لوضوح حضور النوع الأول في السرد عمومًا، لكونه منتميًا إلى الحكاية، ومقابلًا بارزًا للراوي في الخطاب، في حين أن المروي له غير الممسرح يقع خارج الحكاية، ويتميز بـ "إمكانية تماهيه مع القارئ الافتراضي وحتى الواقعي"(عبيد، ٢٠١٥: ١٦٥). وملامحه غير جلية، وموصوفة بالخفاء، ما يجعل الحاجة إلى مقاربته أدعى. وتختلف صور حضوره من مدونة سردية إلى أخرى، ويتحكم في تشكيلها وتباينها عوامل عدة، منها الاعتبارات الثقافية والاجتماعية والفكرية.. ومنها علاقة الراوي بالمروي له من حيث المجايلة، والانتماء الديني، والوطني والجغرافي. وقد أفضى تحليل مدونة" تيسرت" إلى رصد أنماط للمروي له اعتُمد في تصنيفها على طبيعة الخطاب الموجّه من الراوي إلى المروي له. ومن هذه الأنماط نمط **المروي له من الجيل غير المعاصر للراوي**، وهذا النوع أولاه الراوي عناية خاصة تجلت في رسم الاختلافات الحضارية بين جيل مضى (عاصره الراوي) وجيل حاضر مختلف في جميع جوانبه عن الجيل السابق. ولذا كثر الإخبار عن افتقار الناس إلى الطعام(٤٥)، وما ارتبط بندرته من عادات اندثرت لعدم الحاجة إليها اليوم، مثل " إخفاء الطعام عن الأعين من المروءات التي اعتادها الناس، حتى

لا تقع في نفس من يشتهيه ولا يجده؛ فقد تمر سنة كاملة على بعض الأسر دون أن يأكلوا اللحم"(٤٥)، والعادات المرتبطة بموسم الحصاد (٤٦)، وكيفية توزيع الزكاة قديمًا (٤٨). ويُستدعى هذا المروي له أيضًا حين يخبر الراوي عن علاج المرضى قديمًا، فعلى سبيل المثال داء الحصبة" لم يكن له علاج آنذاك إلا ما يتطبب به من طب الأعشاب الذي لم يكن مجديًا"(٢٧). وفي سرد الراوي عن شظف العيش في الماضي يقول: " أذكر أننا نغير سهلة (الرمل) العشة قبل العيد بيوم أو بيومين. إذ ليس هناك فرش للجلوس، والناس يجلسون على التراب"(٢٥). ولا شك أن هذا الخطاب موجّه لمروي له لم يعاصر تلك المرحلة، وهي بالنسبة إليه مجهولة، فكان الخطاب المعضود بأدوات التوكيد لما كان عليه الحال، وأدوات النفي لما لم يكن متوافرًا، خطابًا مخصصًا لمروي له مخصوص. ومن شاكلة هذا الخطاب العبارات التي تنفي ما قد يُظن بتوافره في الماضي من نحو قوله: " لم تكن هناك كهرباء، ولم يظهر الترانزستور"(٥٣)، و" لم يستتب الأمن بشكل كامل في ذلك الوقت"(٢٢)، و" لم يكن الحج وقتها سهلًا"(٤٦)، و" لم تك ثمة حمّامات وقتها كما هو الحال اليوم"(٧٤)، و" صفوف مدرستنا مفروشة بالرمل، ولم يكن ثمة مقاعد للدراسة كالتي نراها في مدارس اليوم"(٨٠).

وفي سرد الراوي لمواقف وأحداث تعود إلى مراحل حياته الأولى يحرص على رسم ملامح المجتمع التي كانت آنذاك تجاه بعض القضايا. وهي مواقف يوضحها الراوي على افتراض وجود مروي له من غير جيله الذي عاش معه تفصيلاتها، وإلا فما فائدة التنويه بمثل قوله عن الراديو: " وهو في تلك الفترة محرم [..]أتذكر أن الراديو دخل إلى بيتنا بعد مأمورية سرية"(٥١). أو وصفه لموقف الناس في الخمسينيات الميلادية من لعب

الورق(الجوكر)، فقد كانت" من الأمور المستنكرة (٥٥). أو قطعه سرد حكاية له بعبارة " وكانوا في تلك الأيام يقومون بحصر عدد من يصلون صلاة الفجر"(٥٧). ليضع صورة كاملة لمروي له مفترض من الجيل المعاصر حتى يفهم الصعوبات التي حدثت له في حكايته حينما اتهم بالتخلف عن صلاة للفجر في بلدته. أو كموقف المجتمع من المرأة المعتدة، فقد كان "الاعتقاد السائد حينئذ ألا تخرج المرأة المحادّة إلا لضرورة قصوى، ويكون ذلك قبل شروق الشمس"(١٧).

ويجد القارئ صورة أخرى في خطاب المدونة **لمروي له من غير بيئة الراوي** تبرز ملامحها في وصف عادات المجتمع المتعلقة باستقبال الضيف وإكرامه ومكان ضيافته (٣٨)، ومثل شرح طريقة عمل بعض الأطعمة مثل" المحزرة"(٢٤). كما تتضح كذلك في تفسير مفردات مغرقة في المحلية، مثل" قلة التمر"(٤٢) و" القبة"(٤٣)، و" البشت، شرك، وقت الخراف، جداد النخيل"(٤٥)، و"الجرين"(٤٦)، و" العوسارة، والشرشع، والزرانيق"(٥١). لم يدع الراوي هذه المفردات دون شرح يوضح المقصود بها، وفي ذلك دلالة على وجود مروي له متوقع من خارج دائرة البيئة التي ينتمي إليها الراوي.

وفضلًا عن النوعين السابقين للمروي له المختلف عن الراوي في مستوى المجايلة، أو الانتماء إلى بيئة واحدة، نجد صورة مفترضة لمروي له منتم إلى **مرجعية دينية مشتركة مع الراوي، أو ثقافة موروث شعري واحد،** ومن نماذج الصورة الأولى سرده لذكرياته في طفولته حينما كان يذهب إلى مسجد بلدته الصغيرة" أذهب إلى المسجد، وأشعر بالراحة والسكينة بما أراه من روحانيات الصلاة والذكر والقيام وتلاوة القرآن[..] في ذلك المكان الذي أسس على التقوى"(٤٢)، وقوله: " فعصيت الشيطان وقطعت حبائله وأغضبت النفس الأمارة بالسوء"، و" فماذا أفعل الآن "ضاقت علي الأرض بما

رحبت"(١٠٨)، و" ولما سكت عن مديرنا الغضب"(١١١)، و" ولولا أن ديننا يوصينا بحسن معاملة الجار.."(٢٢٤)، و"اجعل لي وزيرًا من أهلي"(٢٢٦). هذه النصوص موجهة إلى مروي له ذي مرجعية دينية إسلامية، يعرف تعاليمها ونصوصها المقدسة ودلالاتها. ومن نماذج الصورة الثانية تضمين السرد لأبيات شعرية، سواء من قديم الشعر العربي (٣٣، ٥٣، ١٠٨، ٣٣٢)، أو من حديثه (٢٨، ١٣١، ١٧٦، ٣٤٢). وغالبًا ما يُستدعى المروي له بكلمات معينة تمهد لهذا الاستدعاء، وتسبق هذه الأبيات الشعرية، مثل" أستعيد دائمًا قصيدة.."(٢٨) و " أتمثل هنا قول إيليا أبو ماضي"(١٧٦)، و" تمثلت بقول الشاعر"(٣٤٢)، و" أغني مع المتنبي"(٥٣)، و" لذا أردد مع قيس"(٣٣٢). وغني عن القول أن ضمير الـ"أنا" الراوي يستدعي ضمير الـ"أنت" المروي له.

وأحيانًا ترتسم صورة المروي له المفترضة من قبل الراوي صورةً "أدق خصوصية" في مستوى الروابط المشتركة بينهما، كما في الخطاب المتوجَّه به إلى **مروي له موصوف بكونه من أصحاب الدراسات العليا** على دراية بمصطلحات وتعابير جامعية وبحثية من قبيل "المشرف"(١٨٤)، و" الأوراق البحثية"(١٨٦)، و"مقترح بحثي"(١٩٤)، و"المخطوطات"(١٩٧)، و" أطروحة"(٢٠٨)، و"تحقيق الكتاب"(٢١٠)، أو **بكونه أكاديميًّا** شأنه شأن الراوي المعتاد على كلمات مثل "اجتماع مجلس القسم"(٢٣٩)، و" بحوث محكمة، ترقية أكاديمية، أستاذ مشارك"(٢٢٣)، و"درجة أستاذ"(٣٣٨)، ولذلك نلاحظ أن الراوي لا يفسّر ولا يشرح المصطلحات الخاصة بالدراسات العليا، أو بالعمل الأكاديمي، بل يكِل الراوي المروي له (المفترَض الذي يستقبل الخطاب) إلى تكوينه الثقافي والعملي الذي لا يُحتاج معهما إلى شرح أو تعليل.

الخاتمة

اختصت هذه الدراسة بمقاربة الخطاب السردي في السيرة الذاتية "تيسّرت"، وتحديدًا تحليل الصوت السردي المتمثل في المروي له، مع تحليل العون السردي "الراوي" كلما اقتضى التحليل استدعاءه. وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج جاء في مقدمتها، توافر الخطاب على علامات دالة على وجود المروي له (ناطقة وأخرى صامتة). فأما الأولى، فكانت على صنفين، مباشرة تمثلت في استعمال ألفاظ (أسماء ظاهرة معينة) استدعي بها مروي له مخصوص، واستعمال ضمائر متوجَّه بها إلى مروي له مجرد، وقد رجحت ضمائر المخاطَب المفرد على المخاطَب بصيغة الجمع في ورودها في المدونة. وكشفت النماذج التي صُدّرت بضمائر المخاطب تضمنها شكوى غير مباشرة للمروي له من شخصيات خذلت الراوي في حياته على المستويين الاجتماعي والعملي. وتقترن ضمائر الجمع منها بالأفعال المضارعة التي حملت تشويقًا للمروي لهم حيال السرد الذي يلي افتتاح الجمل بها. وأما العلامات غير المباشرة، فكانت أكثر ورودًا وتنوعًا من العلامات المباشرة. ومنها ضمائر المتكلم للجمع (المنفصلة منها والمتصلة) التي أُشير بها إلى المروي له الذي تجمعه بالراوي مشتركات عامة وخاصة. ومنها استعمال ضمير المتكلم المفرد الذي يحيل بالضرورة على المروي له بوصفه الصورة المقابلة للراوي، وقد جاءت العبارات المقترنة بهذا الضمير في سياق بوح الراوي بانكساراته ومعاناته للمروي له. ومن العلامات الأخرى غير الضمائر، صيغ الاستفهام والتعجب التي دلت على حضور المروي له في الخطاب بصورة ضمنية، ومنها أيضًا أساليب النفي والتعليلات والتفسيرات التي تدفع التأويلات المحتملة التي قد يتوقعها المروي له. وأما العلامات الثانية

(الصامتة)، فكان من أهمها: الثغرات الزمنية والعلامات المتصلة بالإسناد والإضمار، إضافة إلى البياضات الطباعية، وكلها علامات تستنطق المروي له وتستدعيه لملء ما أغفله الخطاب من دلالات وأفكار محتملة في الخطاب السردي. وأتاح تحليل خطاب الراوي الكشف عن أنماط مختلفة للمروي له، وهي المروي له من الجيل غير المعاصر للراوي، والمروي له من غير بيئة الراوي، والمروي له المنتمي إلى مرجعية دينية مشتركة مع الراوي، أو ثقافة موروث شعري واحد، والمروي له من أصحاب الدراسات العليا، والمروي له الأكاديمي.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع باللغة العربية

- البادي، مريم سالم (٢٠١٨). **الذاتية اللسانية ولسانيات التلفظ بين ميشال بريال وإيميل بنفنيست**. مجلة فكر وإبداع. المجلد ١٢٣. رابطة الأدب الحديث.
- برنس، جيرالد (١٩٩٣). **مقدمة لدراسة المروي عليه**. ترجمة: علي عفيفي. مجلة فصول. العدد ٢، المجلد ١٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- برنس، جيرالد (٢٠٠٣). **قاموس السرديات**. ترجمة: السيد إمام. (ط١). القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.
- جينيت، جيرار (٢٠١٠). **عودة إلى مصطلح الحكاية**. ترجمة: محمد معتصم. (ط١). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الحداد، محمد حسن عبد الباقي (٢٠٢٢). **الراوي وحضوره في السيرة الذاتية**. مجلة كلية الآداب. المجلد١٤. العدد ٢. جامعة الفيوم.
- الحربي، صلوح السريحي(٢٠١٥). **المروي له ودوره في البنية الحكائية في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور ٢٨٠هـ**. جذور. العدد٤١. النادي الثقافي الأدبي بجدة.
- حسن، محمد حليم (٢٠١٤). **المروي له في قصص جاسم عاصي ورواياته**. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية بجامعة بابل. العدد ١٨.
- الزبون، رغدة علي محمد (٢٠٢٢). **السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني: "إيقاع المدى" لمحمود السمرة أنموذجا: الأبعاد والأسلوب**. جرش للبحوث والدراسات. المجلد ٢٣. العدد ١. جامعة جرش.
- زعتر، خديجة (٢٠١٢). **وظائف الراوي وخطاب الهوامش في سيرة جبرا إبراهيم جبرا**. الموقف الأدبي. المجلد ٤١. العدد ٤٩٢. اتحاد الكتاب العرب.
- صديق، إيمان صابر سيد (٢٠١٣). **الراوي والمروي له في روايات عادل كامل**. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية. العدد ١. مركز جيل البحث

العلمي.

- صغير، أحمد العزي (٢٠١٥). **المروي له ودوره في التلقي والتأويل: قراءة في القصة القصيرة النسوية في اليمن**. المجلة العلمية لكلية الآداب بجامعة أسيوط. العدد ٥٦.
- عبيد، علي (٢٠١٠). **المروي له في الرواية العربية**. (ط١). تونس: دار محمد علي للنشر.
- الغزالي، عبد الله محمد عيسى (٢٠٠٧). **المكونات السردية في السيرة الذاتية: كتاب " الاعتبار" نموذجا**. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. المجلد ٢٥. العدد ٩٧. جامعة الكويت.
- القاضي، محمد (٢٠١٠). **معجم السرديات**. (ط١). بيروت: الرابطة الدوليّة للناشرين المستقلّين.
- لوجون، فيليب (١٩٩٤). **السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي**. ترجمة: عمر حلي. (ط١). بيروت: المركز الثقافي
- المهوس، منصور (٢٠١٧). **المروي له في الرواية السعودية المعاصرة**. (ط١). الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- الهذلول، صالح (٢٠٢١). **تيسرت**. (ط١). القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر.

ثانياً: المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية

- CUDDON, J. A. (2013) A dictionary Literrary Terms and Literrary Theory, (fifith edition), Oxford, Wiley Blackwell.
- Genette, Gerard. (1983). Narrative Discourse an Essay in Method. Translated by Jane E. Lewin. New York. Cornell University.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٣٤٨
٢-	Abstract	٣٣٤٩
٣-	مقدمة:	٣٣٥٠
٤-	علامات المروي له الناطقة والصامتة	٣٣٥٣
٥-	١- العلامات الناطقة	٣٣٥٤
٦-	٢-العلامات الصامتة	٣٣٦٧
٧-	أنواع المروي له في خطاب المدونة	٣٣٧٠
٨-	الخاتمة	٣٣٧٥
٩-	قائمة المصادر والمراجع	٣٣٧٧
١٠-	فهرس الموضوعات	٣٣٧٩

تم بحمد الله